

إخفاء الأدلة على خسائر روسيا بعد معركة دامية في سوريا

2019-02-11 وكالات

(رويترز) - كان آخر اتصال أجراه جريجوري جانتشيروف وزوجته مع ابنهما سيرجي، الذي كان متعاقدا خاصا مع الجيش الروسي للقتال في سوريا، في الرابع من فبراير شباط من العام الماضي، لكن الأب علم بعد ذلك من صديق وزميل لسيرجي أن ابنه البالغ من العمر 25 عاما قُتل بعد بضعة أيام من هذا الاتصال في معركة كبيرة ضد قوات تقودها الولايات المتحدة في محافظة دير الزور.

لكنه لم يتلق إخطارا رسميا بمقتل ابنه إلا في أبريل نيسان وتسلم جثته مع شهادة وفاة تشير إلى أنه توفي في السابع من مارس آذار على الجانب الآخر من سوريا، وما رواه جانتشيروف واحد من ست أمثلة رصدتها رويترز أعادت فيها منظمة عسكرية خاصة على صلة بالكرملين وتجدد المقاتلين الجثث بعد أكثر من سبعة أسابيع من المعركة وبوثائق رسمية تحوي تفاصيل يقول أشخاص يعرفون هؤلاء المقاتلين إنها غير صحيحة.

ويقول أقارب للقتلى وشاهد من ساحة القتال إن المقاتلين جميعهم لقوا حتفهم في اشتباك في دير الزور وقع ليلة السابع من فبراير شباط، وساعدت مثل هذه الممارسات في إخفاء خسائر فادحة تعرضت لها روسيا في سوريا لما بعد فوز الرئيس فلاديمير بوتين بفترة ولاية أخرى في انتخابات جرت في منتصف مارس آذار.

وكانت الرسالة التي توجهها روسيا في ذلك الوقت هي أن الحملة العسكرية في سوريا تمثل قصة نجاح لا يشوبها سوى خسائر طفيفة في الأرواح، وتشير تلك التفاصيل التي تتكشف بعد نحو عام من معركة دير الزور إلى أن موسكو قد تواجه صعوبات في التحكم في الرسالة التي توجهها عن الخسائر في الخارج بينما توسع أنشطتها العسكرية في الشرق الأوسط وأفريقيا.

شاهد قبر جديد

تقول مصادر إن نحو مئة مقاتل من المتعاقدين مع الجيش الروسي قتلوا في معركة دير الزور. لكن وزارة الخارجية الروسية قالت إن عددا قليلا للغاية من المواطنين الروس قتل هناك رافضة تقارير عن تكبد خسائر فادحة، وأبلغ صديق سيرجي جانتشيفوف أبيه أن ابنه كان يقف إلى جواره قبيل قصف موقعهما.

وقال الصديق، الذي أصيب في المعركة، للأب إنه علم بوفاة سيرجي في طائرة إجلاء طبي وهو في طريقه عائدا إلى روسيا، ولم تتمكن رويترز من الحديث مع الصديق أو التحقق من روايته.

ويعتزم جريجوري جانتشيفوف وضع شاهد قبر جديد يحمل تاريخ معركة دير الزور محل الصليب الخشبي الذي يحمل التاريخ المسجل في شهادة وفاة ابنه.

وكانت هذه هي أول مواجهة مباشرة بين الولايات المتحدة وروسيا منذ انهيار الاتحاد السوفيتي. وهي أيضا المعركة الوحيدة المعروفة في سوريا في أوائل العام الماضي التي شارك فيها متعاقدون عسكريون روس.

لكن في كل من الأمثلة الستة التي رصدتها رويترز والتي أعيدت فيها جثث المقاتلين لذويهم بعد الانتخابات، كانت شهادات الوفاة التي أصدرها مسؤولون روس تنص على أنهم قتلوا في أواخر فبراير شباط أو في مارس آذار، وقال أقارب لهؤلاء المقاتلين إن من جنودهم، وهم أيضا من أبلغوا أسرهم بوفااتهم، طلبوا منهم عدم الكشف عن الملابسات.

ورفض الكرملين التعليق على وفاة سيرجي جانتشيفوف أو أي من المقاتلين الآخرين. وقال ديميتري بيسكوف المتحدث باسم الكرملين إن من الخطأ افتراض أن السلطات أجلت إصدار شهادات وفاة الروس الذين قتلوا في سوريا بسبب الانتخابات.

ورد بيسكوف على سؤال عما إذا كانت شهادات الوفاة التي أصدرها مسؤولون روس تحتوي على معلومات خاطئة قائلا إن هذا السؤال لا يتعين أن يوجه للكرملين. وأضاف أنه ليس على علم بما إذا كان تسليم الجثث قد تأخر.

ولم ترد وزارتا الدفاع والخارجية على طلب التعليق، ومثلما ذكرت رويترز في تغطيتها، كانت روسيا تستخدم سرا متعاقدين مع الجيش من القطاع الخاص في سوريا في تنفيذ مهام لدعم الرئيس السوري بشار الأسد حليف موسكو بالتنسيق مع الجيش الروسي.

وتستخدم المؤسسة التي جندت المقاتلين، والمعروفة باسم مجموعة واجنر، البنية الأساسية للنقل والمستشفيات الخاصة بوزارة الدفاع. وتنفي روسيا استخدام متعاقدين عسكريين في سوريا وتقول إن أي مواطن روسي هناك هو متطوع.

ولم يؤكد بيسكوف ما إذا كانت مجموعة واجنر تعمل في سوريا أو تنفذ مهام نيابة عن الحكومة الروسية، ولم يرد شخص تعتقد رويترز بأنه مقرب من قائد مجموعة واجنر على طلب التعليق.

هجوم جوي ضخم

تقدم مقاتلون روس يوم السابع من فبراير شباط من العام الماضي باتجاه مصفاة نفط في محافظة دير الزور التي تسيطر عليها قوات كردية والتحالف الذي تقوده الولايات المتحدة والذي رد بضربات جوية مكثفة.

وتعرف متعاقد عسكري، قال أنه نجا من الهجوم بالاختباء، من بين العديد من القتلى على اثنين من المقاتلين الستة الذين أعيدت جثثهم لأسرهم بعد الانتخابات بوثائق رسمية تحمل تواريخ وفاة لاحقة على يوم مقتلهم.

وأبلغه زملاؤه بأن التأخير نتج عن العدد الكبير للوفيات ولأن الصحفيين كانوا يرصدون مطارا في روستوف-أون-دون في جنوب روسيا كان مركزا رئيسيا للشركة العسكرية الخاصة، وقال المقاتل "كان من الصعب نقلهم جميعا على الفور لأن الصحفيين كانوا ينتظرونهم في روستوف.. كانوا يستقبلون الطائرات.. هكذا أبلغنا".

وقال إنه لا يريد الكشف عن هويته لأن من جنوده لا يسمحون له بالكشف عن معلومات تتعلق

بمهمته في سوريا، وأمضى مراسلو رويترز عدة أيام بعد معركة فبراير شباط يراقبون مشرحة عسكرية ومطارا في روستوف. ولم يرسدوا وصول نعوش.

ويقول المقاتل إن أنطون فازوف من بلدة نوفوشاخينسك في جنوب روسيا الذي تقول السجلات الرسمية إنه قتل يوم 21 مارس آذار كان من بين الزملاء القتلى الذين شاهدتهم يوم المعركة، وقال إنه شاهد فازوف في أحد أكياس الجثث يوم الثامن من فبراير لدى عودته إلى أرض المعركة بعد الضربات الجوية لانتشال الجثث، وأضاف "تعرفنا عليه بعدما قلبناه على ظهره ونفضنا عنه التراب"، مشيرا إلى أنه نقل فازوف على ظهر شاحنة مع أكثر من 20 جثة أخرى بعيدا عن ساحة القتال.

الخوف من الانتقام

في منطقة كيروف على مسافة 800 كيلومتر شمال شرقي موسكو دُفن ثلاثة مقاتلين قال أشخاص يعرفونهم إن جثثهم أعيدت لأسرهم في أوائل أبريل نيسان، وقال المقاتل الذي نجا من المعركة إن أحدهم وهو ألكسندر لوسينكوف كان بين من انتشلت جثثهم من ساحة القتال في دير الزور، وذكر أحد أقارب لوسينكوف اطلع على شهادة الوفاة إن الشهادة تفيد بأنه توفي يوم الأول من مارس آذار.

وقال فيكتور دومين شقيق زوجة لوسينكوف السابقة إن المقاتل أبلغه بظروف الوفاة، وأضاف دومين لروترز في المقبرة التي دفن فيها لوسينكوف "فور انتخاب الرئيس تكشف الأمر"، ولم يتصل أي من المتعاقدين العسكريين الآخرين وهما ألكسي كالاوخوف وكونستانتين دانيلاجورسكي بأسرهم منذ المعركة وفقا لصديق لهما من أيام الطفولة. وقال الصديق إن زوجتيهما حاولتا الاتصال بهما بعد أن علمتا بوقوع المعركة لكنهما لم تتمكنوا من ذلك، وذكر شخص مطلع أنه كُتب على شاهدي القبرين أنهما توفيا يوم 27 فبراير شباط وهو التاريخ المذكور في شهادتي الوفاة.

وقال شقيق مقاتل آخر من بلدة في غرب روسيا إنه علم بوفاة شقيقه في دير الزور في منتصف شهر فبراير شباط من أحد المعارف الذي كان على اتصال بالمتعاقدين العسكريين في سوريا رغم أن

شهادة الوفاة تففء بأنه توفي بعد ذلك بأسابفع.

ارآفاع أعماء الوفاة المسجلة

فآعارض الآأفر فف آسلفم الآآآ وآسجفل معلوماء آاطئة مآلما أشار إلفه أصفقاء وأقارب المقاتلفن فف الربفع الماضي مع السفاق المعآاء الؤف رصفآه روفآرز على مءى عامفن؁ فعاعة ما فعفء المسؤؤلون عن الآجنفء الآآآ للأسر آلال أسبوعفن أو آلاآة أسابفع من آارفع الوفاة مع شهادة وفاة آحمل آارفع الوفاة الؤف فآطابق غالباً مع ما فروفه مقاتلون آرون.

والقنصلفة الروسية فف سورفا هف المسؤؤلة عن آسجفل وفاة المءنفن الروس الؤفن فلقون آآفهم فف البلاد. وكل شهادة وفاة آحمل رقما مسلسلا ففءاً من واحء فلفه عام الوفاة؁ وأظهرآ وآائف اآلعت علفها روفآرز أن المسؤؤلفن الروس فف القنصلفة أصفروا أكثر من 60 شهادة وفاة فف أوائل العام الماضي آآى الآامن من أبرفل نفسان منها 33 شهادة آحمل آوارفع بفن 22 مارس آذار والآامن من أبرفل نفسان؁ وجرآ الانتخاباء فوم 18 مارس آذار؁ ولم آرد القنصلفة الروسية فف سورفا على آلب الآعلق. ولم آآمكن روفآرز من آءفء ما إذا كانت جمفع شهاداء الوفاة كانت لمتعاقءفن مع الآفش من القآاع الآاص.